بسم الله الرحمن الرحيم ١٩-٦-١٤٣٥

قال الله تعالىٰ:{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَياةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ}.

وقال عز وجل: { ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }.

طولُ الأملِ يأسرُ القلبَ:

أخرج البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ ".

أخرج البخاري والترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

قال الحافظُ ابنُ رجب رحمه الله في " جامع العلوم والحِكم": هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي قِصَرِ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا، فَيَطْمَئِنَّ فِيهَا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَىٰ جَنَاحِ سَفَرٍ: يُهَيِّئُ جِهَازَهُ لِلرَّحِيلِ. وَقَدِ اتَّفَقَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ حَاكِيًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ: { يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: " مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" .اهـ

وصيةُ النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما باغتنام الشباب والصحة والغنى والحياة:

أخرج الحاكم في " المستدرك" وقال: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي وصححه الألباني في " صحيح الجامع" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ".

الموتُ يقطع طولَ الأمل:

أخرج ابنُ ماجه وقال الألباني:حسن صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ».يَعْنِي الْمَوْتَ.

طولُ الأملِ يَحجبُ النَّاسَ عَنِ التَّوْبَةِ :

ذكر ابنُ الجوزي رحمه الله في" ذم الهوىٰ"عن يَحْيَىٰ بْنِ مُعَاذٍ رحمه الله قال : الَّذِي حَجَبَ النَّاسَ عَنِ التَّوْبَةِ طُولُ الأَمَلِ وَعَلامَةُ التَّائِبِ إِسْبَالُ

الدَّمْعَةِ وَحُبُّ الْخُلْوَةِ وَالْمُحَاسَبَةُ لِلنَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ هِمَّةٍ .

طُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ:

أخرج ابنُ المبارك في " الزهد"، وأبو نعيم في " الحلية"وذكره ابنُ القيم في " الجواب الكافي" عنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَبُكَاؤُهُ وَخَوْفُهُ، وَكَانَ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِنِ اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَىٰ، قَالَ: فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدَبِّرَةً، وَالْآخِرَةَ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ بَنُونُ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

وقال العلامةُ ابنُ القيم رحمه الله في " الفوائد": القلوب جوّالة فِي هَذِه المواطن اتباعٍ لهوىٰ وَطولِ الأمل مَادَّة كل فَسَاد فَإِن اتِّبَاع الْهوىٰ يعمي عَن الْحق معرفَة وقصدا وَطول الأمل ينسي الْآخِرَة ويصد عَن الاستعداد لَهَا.

مِن علامات طول الأمل إضاعةُ الْوَقْت:

قال ابنُ القيم رحمه الله في " الفوائد": وَأعظم هَذِه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إِضَاعَة. إِضَاعَة الْقلب وإضاعة الْوَقْت فإضاعة الْقلب من إِيثَار الدُّنْيَا على الْآخِرَة وإضاعة الْوَقْت من طول الأمل فَاجْتمع الْفساد كُله فِي إتباع الْهوى وَطول الأمل وَالصَّلَاح كُله في اتِّبَاع لهدى والاستعداد للقاء وَالله الْمُسْتَعَان.

طُولُ الْأَمَلِ يُوقِعُ فِي الْكَسَلِ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ:

قال الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله في " فتح الباري": يَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ وَالتَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالنِّسْيَانُ لِلْآخِرَةِ وَالْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ لِأَنَّ رِقَّتَهُ وَصَفَاءَهُ إِنَّمَا يَقَعُ بِتَذْكِيرِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { فطال عَلَيْهِم الأمد فقست قُلُوبهم} . وَقِيلَ: مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ قَلَّ هَمُّهُ وَتَنَوَّرَ قَلْبُهُ لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْمَوْتَ اجْتَهَدَ فِي الطَّاعَة وَقل همه ورضي بِالْقَلِيلِ.اهـ

بِقَدْرِ الرغبةِ في الدنيا وطولِ الأمل يكون التثاقلُ عن الآخرة:

قال العلامةُ ابنُ القيّم رحمه الله في " الفوائد" : عَلىٰ قَدْرِ رَغْبَةِ العَبْد فِي الدُّنْيَا وَرضَاهُ بهَا يكون تثاقلُه عَن طَاعَة الله وَطلبِ الْآخِرَة.

مِن علامات الجهل طُولُ الأَمَلِ :

قال أبو بكر الدينوري رحمه الله في كتابه " المجالسة وجواهر العلم":

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا كَمَالُ الْحُمْقِ؟ قَالَ: طَلَبُ مَنَازِلِ الأَخْيَارِ بِأَعْمَالِ الأَشْرَارِ، وَبُغْضُ أَهْلِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ الْبَاطِلِ. قِيلَ: فَمَا عَلامَةُ الْجَهْلِ؟ قَالَ: حُبُّ الْغِنَىٰ، وَطُولُ الأَمَلِ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ. قِيلَ: فَمَا عَلامَةُ الْعَمَىٰ؟ قَالَ: الرُّكُونُ إِلَىٰ مَنْ لا تَأْمَنُ غِشَّهُ، وَالْمَنُّ مَعَ الصَّدَقَةِ، وَالْعِبَادَةُ مَعَ الْبُخْلِ.

وقال رحمه الله في "المرجع السابق" : أَوْصَىٰ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ! إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ لِمَا تَهِمُّ بِهِ مِنْ فِعَلِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ وَقْتَهُ إِذَا زَالَ لَمْ يَعُدْ إِلَيْكَ، وَاحْذَرْ طُولَ الأَمَلِ؛ فَإِنَّهُ هَلاكُ الأُمَمِ .

طولُ الأمل من أسباب الوقوعِ في المعاصي:

قال العلامةُ ابنُ القيم رحمه الله في " طريق الهجرتين": الصبر عن المعصية ينشأُ من أسباب عديدة: ... السبب الثامن: قِصر الأمل، وعلمُه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو مزمعٌ على الخروج منها، أو كراكبٍ قال في ظل شجرة ثم سار وتركها. فهو لعلمه بقلة مقامه وسرعةِ انتقاله حريصٌ على تركِ ما يثقله حملُه ويضره ولا ينفعه، حريصٌ على الانتقال بخيرِ ما بحضرته، فليس للعبد أنفعُ مِن قِصر الأمل ولا أضرُّ مِن التسويف وطولِ الأمل.

قِصَرُ الْأَمَلِ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْقَلْبِ:

قال العلامةُ ابنُ القيم رحمه الله في " مدارج السالكين": فَأَمَّا قِصَرُ الْأَمَلِ: فَهُوَ الْعِلْمُ بِقُرْبِ الرَّحِيلِ، وَسُرْعَةِ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاصَفَةِ الْأَيَّامِ، وَانْتِهَازِ الْفُرَصِ الَّتِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَمُبَادَرَةِ طَيِّ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ،

وَيُثِيرُ سَاكِنَ عَزَمَاتِهِ إِلَىٰ دَارِ الْبَقَاءِ، وَيَحُثُّهُ عَلَىٰ قَضَاءِ جِهَازِ سَفَرِهِ، وَتَدَارُكِ الْفَارِطِ، وَيُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُرَغِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيَقُومُ بِقَلْبِهِ إِذَا دَاوَمَ مُطَالَعَةَ قِصَرِ الْأَمَلِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْيَقِينِ، يُرِيدُ فَنَاءَ الدُّنْيَا، وَسُرْعَةَ انْقِضَائِهَا، وَقِلَّةَ مَا بَقِيَ مِنْهَا، وَأَنَّهَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّهَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمٍ صَارَتْ شَمْسُهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَيُرِيهِ بَقَاءَ الْآخِرَةِ وَدَوَامَهَا، وَأَنَّهَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً، وَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا وَعَلَامَاتُهَا، وَأَنَّهُ مِنْ لِقَائِهَا كَمُسَافِرٍ خَرَجَ صَاحِبُهُ يَتَلَقَّاهُ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسِيرُ إِلَىٰ الْآخَرِ، فَيُوشِكُ أَنْ يَلْتَقِيَا سَرِيعًا ... وَقِصَرُ الْأَمَلِ بِنَاؤُهُ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: تَيَقُّنِ زَوَالِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَتِهَا، وَتَيَقُّنِ لِقَاءِ الْآخِرَةِ وَبَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، ثُمَّ يُقَايِسُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَيُؤْثِرُ أَوْلَاهُمَا بِالْإِيثَارِ.

طُولُ الْأَمَلِ مِنْ عَلَامَاتِ الشِّقْوَة :

قال العلامةُ ابنُ القيم رحمه الله في" مدارج السالكين": قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله : خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشِّقْوَةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ. وَجُمُودُ الْعَيْنِ. وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ. وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا. وَطُولُ الْأَمَلِ.

علاجُ طولِ الأمل:

قال ابنُ حجر الهيتمي رحمه الله في" الزواجر عن اقتراف الكبائر": وَيُعَالَجُ طُولُ الْأَمَلِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَالنَّظَرِ فِي مَوْتِ الْأَقْرَانِ وَطُولِ تَعَبِهِمْ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَضَيَاعِهِ بَعْدَهُمْ فِي أَقْبَحِ الْمَعَاصِي وَأَقْرَبِ زَمَنٍ.

طولُ الأمل مع الاغترار بالنفس يؤدي للوقوع في البدع :

ولعل من أبرز الطوائف في ذلك في زماننا طائفةُ الحداديةِ الخوارجُ الجُددُ ، وهاك أخي بعضَ صفاتهم حتىٰ تكونَ منهم علىٰ حذرٍ :

١ - تركُهُم الإحالَةَ والارتباطَ بأهلِ العلم إلا فيما يُوافقُ كلامَهم.

٢- سُوءُ الأدَبِ وجفاءُ الأخلاق ، فتجدُ فيهم الكذبَ والنميمةَ لاسيما بين العلماء وطلابِ العلم ، وكذا الجرأةَ في نقد أهل العلم ، ومِن ذلك " سلسلة أخطاء رسلان العقدية - المجموعة الأولىٰ: سبعون خطأً " !!

٣- الطّعنُ في أهل العلم فيما بينهم ، مع التظاهرِ بخلافِه .

٤- المُسَارعةُ في تأليف الكتب مع سوءِ الخُلُقِ والعملِ - حتىٰ أنَّ أحدهم معروفٌ بالكذبِ وإحداث الفتنِ ، ولا يُرىٰ في صلاة الفجر إلا في رمضان أحياناً - وتراه يكتب في النوازل ؛ وذلك بغيةَ الظهور.

٥- إعجابُهُم برأيِهِم واعتدادُهم بأنفسهم ، رغم شذوذِهم في فهمِ المسائل العلمية ، ومِن ذلك قولهم: " مَن نقلَ عن أحدٍ مِن أهل العلم دون أنْ ينسبَ قولَه إليه ولو في خُطب الجُمعة فهو سارقٌ ، وتُكتبُ المجلدات في ذلك !! ولا شك أنَّ هذا مِن الغرائب.

٦- الإخلالُ بمنهج السلف في التدرج في طلب العلم ؛ مما يؤدي إلىٰ غرور الطالب وإعجابِه بنفسه فينشأ فيه النَّفَسُ الحداديُّ ، ثم " تَجَارَىٰ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ". كما عند أبي داود بسندٍ صحيح.

٧- الارتباطُ بوشائجَ خاصّةٍ بأصحابهم وعدمُ الإحالةِ إلا عليهم .

٨- عدمُ مراعاةِ قاعدة المصالحِ والمفاسِد التي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنة.

٩- التكلُّفُ الشديد في توجيهِ كلامِ العلماءِ على ما يُوافقُ أهواءهم.

١٠- التَّترسُ بدراسة كُتبِ السلف ، والقولُ بأقوالهم في بعض المسائل ، مع مجانبةِ فَهْمِ العلماء في غيرها إلا ما وافقهم .

ألا قَطَعَ اللهُ عِرقَ الحداديةِ الخوارجِ الجُددِ